كثرة العتاب

الكمال لله وحده والنقص من طبيعة البشر فلن تجد إنساناً يخلو من نقص في جانب من جوانب شخصيته ، وفي الحياة الزوجية يكاد يكون من المستحيل أن يجتمع رجل وامرأة لا يعتري أحدهما نقص أو كليهما وأن كل ما يريده أحدهما في الآخر كاملا .

من أجل ذلك لا يكاد يمر أسبوع دون أن يشعر أحدهما بالضيق من تصرف عمل الآخر، وليس من المعقول أن تندلع حرب كلامية كل يوم وكل أسبوع على شيء تافه كملوحة الطعام أو نسيان إحدى حاجيات البيت دون شرائها أو الانشغال عن موعد غير ضروري أو زلة لسان عابرة وغير مقصودة ، فلو حصل مثل هذا فتلك، حياة غير مستقرة وقد ينهار البناء الأسري نتيجة للمشاحنات اليومية ويؤثر هذا الجو السلبي على الأبناءِ في كل جوانب حياتهم ؛ وقد تكون الحياة الأسرية المشتعلة سببا انحراف الأبناء وفشلهم الدراسي وربما في حياتهم العامة .

ومن أجل هذا كله على كل واحد منهما تقبل الطرف الآخر والتغاضي عما لا يعجبه فيه من صفات ، أو طبائع ، وكما قال الإمام أحمد بن حنبل : تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل ؛ وهو تكلف الغفلة مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه تكرما وترفعا عن سفاسف الأمور .

والحسن البصري يقول: ما زال التغافل من فعل الكرام؛ إلا أن بعض الرجال – هداهم الله – يدقق في كل شيء وينقب عن كل صغيرة وكبيرة بحثا عما يعتقد أنه سبب للهجوم الشرس على زوجته بأسوأ العبارات وأقبحها ؛ مع أن الرجل العاقل الكريم لا يستقصي الأمور ويترفع حتى عن ما يغيظه ويتجاوز عن كثير

من الأمور درءً لوقوع مشكلات بينه وبين زوجته و أملاً في استمرار حياة زوجية سعيدة .

وقد يحدث أن بعض النساء كذلك تدقق في أمور زوجها ماذا يقصد بكذا؟ ولماذا لم يشترِ لي هدية بهذه المناسبة؟ ولماذا لم يهاتف والدي ليسأل عن صحته؟ وتجعل من هذه الأمور وأشباهها مصيبة المصائب وأعظم الكبائر؛ بل قد تفرح في حالة أن يكون زوجها قد تصرف تصرفا لم يعجبها لتبدأ في الصياح وإطلاق الاتهامات وربما يصل الأمر إلى السب والشتم ومقارنته بفلان وفلان وقد يصل الأمر أحيانا إلى أن تتجرأ وتمد يدها على زوجها ؛ ومثل هذه الزوجة ولدت فيما أرى ومكتوب على جبينها (نكديه) .

وهنا يكون الرجل بين أمرين أحلاهما مر إما الصبر على هذا الوضع إلى يحدث الله أمرا كان مفعولا ، أو يلجأ إلى الطلاق وهنا تكون المرأة هي الخاسر الأكبر والأكثر خسارة هم الأبناء إن كان بينهما أبناء .

كما أن بعض الأزواج يكون عنده عادة لا تعجب الطرف الآخر أو خصلة تعوَّد عليها ولا يستطيع تركها مع أنها لا تؤثر في حياتهم الزوجية بشيء يذكر إلا أن الطرف الآخر يدع كل صفاته الرائعة ويوجِّه عدسته على تلك الصفة محاولا اقتلاعها بالقوة .

والصحيح إن الحياة الزوجية حياة شراكة تحتمل الصواب والخطأ ؛ ولكي تستمر فيجب تحكيم العقل من طرفي المعادلة ليعيشوا سعداء وينشأ بينهم أبناء صالحون مصلحون يخدمونهم ويخدمون دينهم ووطنهم .

والشاعر يقول :

ليسَ الغبيُّ بسَيِّدٍ في قومِهِ ... لكنَّ سيِّدَ قومِهِ المُتغابي